مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــ رقم ISSN 2661-7307
المجلد 05 العدد 01 ـ السنة 2023 ص 20 – 35
https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

الأغواط من خلال رحلة الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان

Laghouat through the voyage of the French painter Eugène Fromentin

درعي فاطمة[1]*

[1]جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر(الجزائر)، *fatima.drai@univ-mascara.dz*

تاريخ الإرسال: 2022/10/10 تاريخ القبول: 2022/12/04 تاريخ: النشر: 2023/01/01

الملخص:

إهتمت الكتابات الغربية بالصحراء الجزائرية من خلال تقديم وصف لها وإبراز مزاياها وخصائصها والتركيز على أهمية موقعها وإمكانياتها، وتعتبر الأغواط من المدن التي حظيت بإهتمام الكتابات الغربية خاصة الفرنسية منها بالنظر لأهمية موقعها الإستراتيجي وإمكانياتها، وقد تنوعت الكتابات من العسكريين والمؤرخين وحتى الرسامين الذين كتبوا عنها وأفردوا لها اللوحات الفنية ومن بين هؤلاء الرسامين إخترنا الرسام الفرنسي" أوجين فرومنتان" (Eugène Fromentin) الذي زار الجزائر عدة مرات وأعجب بمناطقها وطبيعتها وخصها بلوحات وكانت الأغواط ضمن إهتماماته، وسنحاول من خلال هذه المداخلة التطرق إلى ما كتب حول مدينة الأغواط من طرف الرسام أوجين فرومنتان وسنركز فيها على عوامل إهتمام الكتابات الفرنسية بالصحراء الجزائرية وتحديدا الأغواط.، وإبراز أهمية كتابات فرومنتان في التعريف بالأغواط.

مثّل أوجين فرومنتان أنموذجا لرحلات الأوربيين الذين أظهروا إعجابهم وإنبهارهم بمناظرها وخصائصها ، إلا أنهم في نفس الوقت كانوا متأثرين بالفكر الإستعماري الحامل لروح الإستعلاء والتمييز بين الغرب والعرب، والحريص على إظهار الفرنسي في صورة كاملة مثالية تؤهله لأن يبرز كأي إنسان قادر على تحمّل المسؤولية خبيرا بحياة الجزائريين يدير شؤونهم بحزم وصرامة دون أن يجرّده ذلك من مشاعره وعواطفه الخيرّة.

الكلمات المفتاحية: الأغواط ; أوجين.فرومنتان ; الكتابات الفرنسية.

* المؤلف المرسل:

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

Abstract:

Western writings were interested in the Algerian Sahara by providing a description of it, highlighting its advantages and characteristics and focusing on the importance of its location and potential, and Laghouat is one of the cities that have received the attention of Western writings, especially French ones, given the importance of its strategic location and potential.

Eugène Fromentin represented a model of the travels of Europeans who showed their admiration and fascination with its views and characteristics, but at the same time they were influenced by colonial thought that carries the spirit of superiority and distinction between the West and the Arabs, and keen to show the Frenchman in a complete and perfect picture an expert in the life of Algerians who manages their affairs firmly and rigorously without being stripped of his benevolent feelings and emotions.
Keyword: Laghouat, Eugène.Fromtin, French Writings.

مقدمة:

اهتمت الكتابات الغربية وعلى رأسها الفرنسية بالجزائر على مر فتراتها التاريخية مقدمة بذلك التصور الغربي ورؤيته للمجتمع الجزائري، عاداته وحياته اليومية ولغته ودينه وتكشف لنا الانطباعات السلبية والإيجابية التي أخذها هؤلاء الرحالة وإحساسهم، وتعكس هذه الكتابات العقلية الغربية المتميّزة بحب التملّك والغزو والتعصّب الديني وحب المعرفة والرغبة في إزالة المفاهيم الخاطئة لثقافة الآخر، وقد اعتمدت الكتابات الغربية على الملاحظة العامة حول الناس والطبيعة.

كانت الصحراء الجزائرية من المناطق التي أثارت اهتمام الرحالة الأوروبيين وخاصة الفرنسيين بغرض استكشافها وتقديم ملاحظات على ما وجدوه بها وما شاهدوه من مناظر ومعالم، وعن عادات السكان وحياتهم اليومية، قد وثّقوا ملاحظاتهم تلك في شكل مذكرات تزايدت بشكل كبير خلال القرن19، أصبحت الصحراء مصدر الهام العديد من الكتاب الرسامين الفرنسيين الذين عاشوا بها لفترات مختلفة على مدار القرن 19 ، فدوّنوا ملاحظاتهم التي أظهرت مشاعرهم الحقيقية اتجاه الجزائر والجزائريين ومنهم الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان الذي زار الجزائر وصحرائها ودوّن ملاحظاته عنها وكانت الأغواط

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

إحدى محطاته التي خصّص لها حيزا من كتاباته ورسوماته وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذه المداخلة الموسومة ب:"الأغواط من خلال رحلة الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان"، والتي ستتمحور إشكاليتها حول إظهار صورة الصحراء الجزائرية والأغواط بشكل خاص في الكتابات الفرنسية وخاصة كتابات الرسامين ، وتبيان عوامل ومجالات اهتماماتهم، وسنعتمد في ذلك على المنهج التاريخي القائم على التحليل من خلال وضع هذه الكتابات في ميزان النقد وتحليل أسلوب هذه الكتابات حول الأغواط.

1. عوامل اهتمام الكتابات الفرنسية بالصحراء الجز ائرية وتحديدا الأغواط:

كانت الجزائر من المناطق الجديدة والمثيرة للاهتمام لدى الرحالة الفرنسيين هو ما جعلهم يفكّرون في استكشافها، ولقد تزايدت حركه التأليف حول الصحراء الجزائرية خلال القرن19 منذ البدايات الأولى للتواجد الاستعماري الفرنسي بالجزائر. اختلفت وتباينت الإهتمامات والمواضيع التي درستها باختلاف تخصّصاتهم

فكان منهم السياسيون والعسكريون والدبلوماسيون والعلماء المستكشفون بالإضافة إلى الرسامين، كل هؤلاء اعتمدوا على تصوير الصحراء إما تصويرا دقيقا معتمدا على الحقيقة والمشاهدة والبحث والتقصي، أو حديثا ذاتيا عن الجزائر و صحرائها[1].

زار الجزائر في النصف الأول من القرن19م حوالي150 فنانا من بينهم أوجين دولاكروا (1798-1863) وهوراس فيرنيه (1789-1863) وأوجين فرومنتان(1830-1876) وتيوفيل غوتيه(1811-1872) وغيرهم من الفنانين، وكل ما كتب حول الجزائر وصحرائها وظّف لخدمه الأغراض الاستعمارية التوسعية من خلال ما تقدّمه من خدمات وخبرات ومعلومات ضرورية لتحقيق أهدافها التوسعية ويمكن إيجاز عوامل اهتمام الكتابات الفرنسية بالصحراء الجزائرية والأغواط تحديدا:

1-استكشاف الصحراء والتعرّف على مختلف مظاهرها الجغرافية ودراسة المجموعات السكانية بها والتعرّف على عاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتوظيفها خدمة للأغراض الاستعمارية[2].

2- إدراك الفرنسيين لأهمية تأمين حدودها وضرب مواقع المقاومة من خلال التعرّف على المظاهر التضاريسية والمناخية والإمكانيات الدفاعية التي تسهّل عمليه التوسّع الاستعماري.

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

3- تدوين ملاحظات حول ا الصحراء الجزائرية، التي تفيد وتخدم مصالح السلطات الاستعمارية الفرنسية لتشجيعها على التوغّل في المنطقة واحتلالها واتبّع الفرنسيون أسلوب الإستكشاف والبحث لخدمه منظومتهم الاستعمارية وهو ما عبّر عليه وزير الحربية الفرنسي مارشال سولت بقوله:" لا يجب إهمال الصحراء الجزائرية وذلك لما تقدّمه لنا من ثروة والتي تعطي لنا بعدا ضروريا سياسيا وتجاريا ويجب أن يسود حكمنا فيها[3] وإحتلالها[4].

4- تمثل تلك الرحلات المقدمة لاستراتيجيه بعيدة المدى تهدف إلى إحتلال المنطقة، ولذلك أسّست السلطات الاستعمارية جمعيات أخذت على عاتقها التموين والإشراف على تلك الرحلات ونشر أخبارها في شكل تقارير استفاد منها القادة العسكريون[5]،وقد قدّمت تلك الجمعيات التمويلات اللازمة للرحالة والتجهيزات.

5- التوسّع بأقل التكاليف العسكرية والمادية وتحضير الوسائل الملائمة لمواجهه سكان المنطقة، حيث بدأت فرنسا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تفكّر بجدية في إحتلال الصحراء وبدأت تكثّف دراستها لهذه المناطق للتعرّف أكثر على جوانبها البشرية والاقتصادية والمائية للسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية المزدهرة كالأغواط وبني ميزاب، وربط هذه المناطق بأماكن نفوذها التي تسيطر عليها[6].

6- تعتبر الأغواط مدينه مهمة ومركز واحات القصور، تتلقى المياه من رافد يصب في واد الجدي ويعتبر مصدر أساسي للمياه الجوفية سواء لحفر الآبار أو من الأودية[7].

7- تنطلق من الأغواط عدة طرق تجارية باتجاه الصحراء لنقل التمور والأنسجة الصوفية المتعددة وريش النعام إليها من السلع المتنوعة من هذه المدينة ذات أهمية اقتصاديه وتجارية محضة[8].

8- كانت الأغواط من أهم المدن التي جذبت الرحالة إلى قصورها وواحاتها بفضل موقعها الاستراتيجي إذ تمثّل مركز وسط وتقع على نفس المسافة بين الحدود الشرقية والغربية للبلاد، كانت بذلك مركزا عنصريا إداريا يؤمن حراسة ومراقبة الجنوب ويموّن في وقت قصير القوات الفرنسية أثناء حملاتها[9].

2. التعريف بأوجين فرومنتان(1820-1876):

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

هو أوجين صامويل فرومنتان Eugène Samuel Auguste Fromentin ولد في 24 أكتوبر 182م بمدينة لاروشيل (la rochelle) من عائلة برجوازية تعتني بالثقافة ما أتاح له صقل موهبته الفنية ومعرفة أعمال كبار الفنانين ، كان والده طبيبا هوايته الرسم[10].

زاول دراسته بكوليج روايال بمسقط رأسه، ثم اتجه سنة 1839 إلى باريس لمواصلة دراسته في الحقوق ليتحصّل على شهادة الليسانس في الحقوق سنه1843[11].

ظهرت على أوجين فرومنتان النبوغ والموهبة منذ الفترات الأولى من شبابه، حيث بدأ بنظم محاولات شعرية منذ السن الخامسة عشر استمر في ذلك حتى سن الخامسة والعشرين[12].

حاول والده إرغامه على مواصلة دراسته بعد حصوله على شهادة الليسانس إلا أنه فضّل دراسة الفن، فتخلى عن دراسة الحقوق، وبدأ في تنظيم المعارض والصالونات كان أولها سنه 1845م، وتأثر بالمذهب الرومانسي فعشق فرومنتان حياة الترحال والتنقّل لأنه ضاق ذرعا بالأشياء الثابتة التي لا تتغيّر في الطبيعة، ويتوق شوقا للأشياء العابرة المتغيرة[13].

أرسل فرومنتان سنة 1847 ثلاث لوحات إلى صالون الفن في متحف اللوفر وكان مولعا برسم الفلاح الجزائري وطبيعته ثم توالت لوحاته واخذ النقاد يستحسنون أعماله وحصل على أكبر نجاح له سنه 1859 حيث حصل على ميدالية وإستدعاء لمقابله نابليون الثالث[14].

كان فرومنتان رجلا أنيقا ويحمل أفكار راقية، محبوبا بين الناس ، تمتع بسمعة جيدة، توفي يوم 27أوت 1876، تاركا لوحات ورسومات إبداعية نثرية في قمة الروعة[15].

3. مؤلفاته:

عرف أوجين فرومنتان كأديب وناقد من خلال كتابيه الشهيرين "صيف في الصحراء" و"سنة في الساحل" وقد لجأ إلى الكلمة والصورة معا ليعكس عالم الشرق وقوانينه الأخلاقية والجمالية[16].

نشر أوجين هذين الكتابين" صيف في الصحراء"، و" سنة في الساحل" على التوالي سنتي 1857-1859م عقب ثلاثة رحلات طويلة قام بها إلى الجزائر وعند صدورهما احتل المؤلف مكانه مرموقة كأحد أساتذة النثر الفرنسي[17]، فقد كان يجيد إختيار الكلمة في بساطة متناهية ويصيغها في مكانها بحساب دقيق، أما الصور التي تعكس هذا الأسلوب تعتمد على

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

الألوان الكثيفة تلك الألوان الفجة الحيوية التي تخطّت ريشته كفنان تشكيلي وقد سمح له الجمع بين هاتين الصفتين بأن يحتل مكانة متميزّة وسط كتاب أدب الرحلات[18].

أثناء زيارته إلى مصر بدعوة من الإمبراطورة أوجيني لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس، كان يسعى فرومنتان إلى تأليف كتاب ثالث فكان يقوم بتدوين يومياته إثناء رحلته في مصر بدقه متناهية[19]، إلا أنه أثناء استعداده للرحلة ترك معدات التصوير ولم يأخذ سوى أدوات الكتابة، فدوّن ملاحظاته ذات القيمة التاريخية بفضل احتوائها على معلومات متنوعة عن مصر أيام الخديوي والإحتفالات الضخمة أيام افتتاح قناة السويس، وقد نصب اهتمامه على جمال المناظر الطبيعية الزراعية والصحراوية، فنجح بالفعل في نقل صورة ساحرة عن الريف والصحراء المصرية أواخر الصيف[20]، وفي أواخر يوميات هذه الرحلة كتب فرومنتان:" أود أن أعطي فكرة بسيطة واضحة وصادقه عن الأشياء التي رأيتها، وأن أهز المشاعر بما هز مشاعري، وأن أترك القارئ غير مبال أمام الأشياء التي لم تلفت نظري، أي أنه يجب أن أكتب بحساب"[21].

لم يتمكّن فرومنتان من تحويل يومياته إلى كتاب بسبب الإضطرابات والأحزان التي أخذت تنهال عليه، ونشرت يوميات رحلته إلى مصر في أوائل القرن العشرين وهي ملاحظات سريعة خاطفة وتتميّز بالتصوير الصافي الصريح، والكلمات الحية الدقيقة التي تكشف عن تلقائية في التعبير باللون والكلمة في صفحات تجمع بين حيوية التصوير بأسلوب سلس أشبه ما يكون بشفافية الألوان المائية.

بالإضافة إلى هذه الكتابات لفرومنتان رواية مهمة احتلت مكانه خاصة في الأدب الفرنسي في القرن 19م، مثّلت أحد معالم الرواية الرومانسية تعرف ب"دومينيك" سنة 1863م، اعتمدت على تحليل النفس البشرية وقد عبر فيها عن تجربته العاطفية التي مر بها وهو في الثانية عشر من عمره[22].

في مجال النقد كتب فرومنتان" أساتذة الزمن الماضي" سنة 1876 عن بعض فناني بلجيكا وهولندا التشكيليين السابقين لعصره ويعد من المؤلفات الأساسية في الثقافة الفرنسية، ومازال يعاد طبعه و التعقيب على ما به من جديد في النقد الفني، وقد كان له

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

أسلوبه الخاص في معالجه هذا الموضوع إذ راح يربط بين الفن البلجيكي والهولندي والمدارس السائدة آنذاك في فرنسا منتقدا معاصريه من الفنانين التشكيليين بشكل مباشر.

4. أسباب اهتمام أوجين فرومتان بالأغواط:

تناول فرومنتان الأغواط في كتابه" صيف في الصحراء"، الذي نشر في شكل حلقات متفرقة في مجلة باريس سنة 1854 ، ثم نشر في شكل كتاب سنة 1856[23]، بعد رحلة قام بها إلى الجزائر سنة 1953 مع وفد مكوّن من عسكريين فرنسيين ومدنيين جزائريين إلى الأغواط التي وصلها في 3 جوان من نفس السنة وبقي بها فترة لا بأس بها، وقد خصّص أكثر من 100 صفحة يروي فيها ما شاهده أثناء إقامته بالأغواط[24].

يعود اهتمام فرومنتان بالصحراء الجزائرية والأغواط بشكل خاص إلى رغبته في تقديم صورة للرأي العام الفرنسي عن عجز سكان الصحراء والأغواطيين تحديدا عن إنقاذ أنفسهم وحمايتها إلا بفضل تدخل أجنبي وأن يبيّن أن فرنسا أنقذتهم عن تناحر دائم الذي كان الميزة الأساسية والمظهر اللازم لطريقتهم في الحياة، فقد حاول فرومونتان إظهار المجتمع الجزائري مثقلا بمختلف السلبيات والعاهات عاجزا عن تمثيل نفسه بنفسه، مفكّكا يفتقد إلى الحيوية والقوة ودخلت فرنسا بلاده لتنقذه من همجيته وتخلّصه من الظلم الذي كان مسلّطا عليه من قبل أبنائه وتمكّنه من حضارة أوروبا،[25] وبذلك تظهر فيه الروح الإستعمارية بوضوح، فالجزائر عنده مجرّد موضوع جميل، ريفها وصحرائها وسمائها، ولذلك فهي موضوع للاحتلال والاستغلال وهي عنده فريسة يجب قنصها، وقطعة من الشرق يجب فرنستها[26].

5. وصف فرومنتان للأغواط:

كانت الأغواط من المناطق السياحية المفضّلة لدى الفرنسيين منذ سقوطها بيد الاحتلال الفرنسي يوم 4 ديسمبر1852 بعد حصارها من قبل الجنرال بيلسي (Le général Pélissier)وظهر ذلك جليا من خلال ما كتب عنها ممّن زاروها ومنهم أوجين فرومنتان الذي قام برحلة إلى الصحراء بدأها من الأغواط سنة 1853 وتحدّث بإسهاب عنها واصفا إياها ببلاد العطش.

في كتابه "صيف في الصحراء" خصّص فرومنتان ما يقارب 100 صفحة من صفحة 104 إلى 204 حيث جاء القسم الثاني من الكتاب للأغواط بعد القسم الأول الذي جاء معنونا من المدية إلى الأغواط وجاء في شكل مذكرات مقسّمه حسب الأيام بين 3 جوان 1853 تاريخ

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

وصوله إليها إلى غاية شهر جويلية من نفس السنة دون تحديد الأيام، حيث كان يستعرض على مدار مدة إقامته بالأغواط التي تجاوزت الشهر أدق التفاصيل ونقل كل مشاهداته.

وصل فرومنتان الأغواط في 3جوان، وقدّم من خلال رحلته وصفا دقيقا ومعلومات هامة تساهم في كتابة التاريخ الإجتماعي لسكان الأغواط، حيث رصد المجتمع ووثّق ملاحظاته عنها[27].

قدّم وصفا للمدينة وكأنه يرسم المدينة من خلال تقديم أدق التفاصيل عنها ووصف الأشياء والمناظر التي عايشها فهو يتأمل ويتمعّن تحليل ما يراه وما يشعر به وما ينعكس عليه من إنطباعات في كلمات بسيطة واضحك فقال:" الأغواط إلى الغرب على ثلاث تلال صخريه إلى الصحراء الغير المحدودة جنوبا"، ويضيف أن المدينة في جزئها الشمالي ممتلئة ومغطاة بالمنازل أما في الجنوب وبسبب انحدار فنجد تباعد مع امتداد الكثبان الرمليه الصفراء[28].

تحدّث فرومنتان عن سلوك ومظهر أهل الأغواط بمختلف فئاتهم من بدو وحضر وحتى من جاورهم من سكان الصحراء[29]، حاول تقديم الدليل على أن الأغواطيين لم يستطيعوا إنقاذ أنفسهم من السقوط إلا بفضل التدخل الأجنبي[30].

كانت القصور الموجودة بالأغواط من المناطق التي أثارت فرومنتان حيث يقول عن قصر تاجموت:" لم أرى أي قرية عربية في تنظيمها وتناسق منظرها الجميل الذي يبعث على السعادة فهي تغطي هضبة الشكل يكسوها غطاء أخضر من الأشجار المثمرة والنخيل... ويحيط بهذه البساتين أسوار خارجية تفصل بينها مسافات متقاربة، وهي عبارة عن تحصينات متداخلة بأشكال هرمية تزيدها رونقا... وتتداخل فيها الألوان لتعكس لونين رمادي مع بزوغ الفجر ليميل للذهبي مع طلوع الشمس[31].

من جهة أخرى يتحدّث فرومنتان عن الأغواط بعد السيطرة الفرنسية وتأثير الحرب عليها حيث يقول أن شوارعها ومنازلها وبساتينها التي تحوّلت إلى مكان للرعب وأخر للموت، لقد كانت الحرب عنيفة، المقاومة شرسة والخسائر البشرية في صفوف السكان كبيرة، قدّرت بألفي قتيل والكثير منهم هرب من بينهم القائد الشريف محمد بن عبد الله الذي تسلل في جنح الليل خارج أسوار المدينة[32]، ويضيف أن الذين بقوا في المدينة تعرّضوا للتعذيب والتقتيل[33]، ويضيف أيضا حول الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الأغواطيين

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

بالقول:" منازل سوداء متصدعات الجدران، مثقوبة السقوف، من جراء قصف المدافع، و مدينة تنتشر بها الروائح الكريهة بسبب انتشار الجثث على الأرض وقد هجرتها النساء والأطفال ولم يبقى فيها أحد وحتى الكلاب والطيور تغرّبت وبقيت الواحات تعاني عزلة رهيبة وصمتا مخيفا[34].

في سياق حديثه عن الأغواط تحدّث عن الطريقة التيجانية والمقاومة الشعبية التي انطلقت سنة 1838[35]، وبعدها يواصل وصف المدينة التي قال أن منزل الخليفة بن سالم المسمى دار الصفاح يقسّم المدينة إلى قسمين بين حيين لقبيلتي أولاد سرقين والأحلاف[36]، وواصل الحديث عن الصراع الذي كن دائرا بين القبيلتين.كما قدم فرومنتان صورة عن المدينة بعد هجوم القوات الفرنسية، وكيف أصبحت المدينة محاصرة محتجزة بكل ممتلكاتها وقواتها، والمنازل الفارغة سواء منازل الفقراء أو الأغنياء[37].

يصوّر لنا فرومنتان المجتمع الأغواطي من خلال وصف نساءه ورجاله وألبستهم وتحدّث حتى عن الميزابيين واليهود المقيمين الذين يمارسون التجارة، ثم يتحدّث عن صفاتهم وسلوكياتهم[38] ،كما تحدّث عن الحدادين وصفاتهم ومواصفاتهم، كما يقدّم لنا أيضا أوصافا للنمط العمراني بالمدينة والمواد المستخدمة في البناء[39] وطابع البناءات والمدينة العمراني حيث قال أن جميع المباني هي ذات لون أرضي يرتبط بالطوب المادة الأولية له ماعدا دار الصفاح ذات اللون الأبيض القديم وعن البناءات يعرضها متأثرا بحسه الفنّي قائلا :"إن باقي البناءات والمساكن هي ذات لون رمادي، هذا الرمادي الذي يصبح في الصباح وردي، وفي منتصف النهار بنفسجي، وفي المساء برتقالي"[40] ويضيف متحدّثا أيضا عن الأبواب وطبيعتها وألوانها.

يذكر فرومنتان أوصاف الألبسة وأشكالها وألوانها واصفا لألبسة الرجال والنساء والحايك كما اسماه الذي وصفه حيث قال:" أن اللباس يكون من حايك وخمار وحزام وأحيانا ملحفة،وقال أيضا أن الحايك هو من القطن الهش وأن لونه بين الأبيض والأسود والرمادي[41]

.

وصف فرومنتان لباس المرأة وصفا دقيقا من أعلى الرأس إلى القدمين وحتى الجوارب التي ترتديها النساء ونوعيتها والتطريز الموجود عليها[42]، ثم يتحدّث عن المرأة والفاصل العمري بين الطفولة والبلوغ والنضوج حيث يقول:" أنه لا يوجد مرحلة وسطية أو انتقالية بين

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

الطفلة والمرأة لأنها تخطب في سن العاشرة وتتزوج في سن الثانية عشر، ومع السادسة عشر تصبح أما لثلاث مرات"[43] ،كما قال أيضا أن هؤلاء النسوة لديهم ابتسامات حزينة مع كثير من الضحك.[44]

تطرّق فرومنتان في رحلته إلى العائلة التي قال عنها أنها قليلا ما نجدها مجتمعه مع بعض الأب وألام والأطفال ويستقر الرجال في الأقبية وفي الساعات والشوارع وفي كل مكان باستثناء منازلهم وان الأسرة تجتمع فقط لتناول الوجبة أو في الليل[45].

أضاف أن وضعية وظروف المرأة صعبة فهي في الوقت نفسه الأم والممرضة والعاملة والحرفية فهي العمود الفقري للمنزل[46]. وهو ما يجعل الأمور أسهل للزوج، كما تحدّث أيضا عن الأطفال وكبار السن عددهم قليل تحدّث أيضا عن المرحلة الانتقالية بين الطفل والرجل و أنه لا وجود لمرحله المراهقة.

تحدّث فرومنتان أن المدينة الصحراوية هي مكان جاف وضعت له العناية الإلهية، وذكر أن البيوت تسكنها أسرة إلى ثلاث أسر تتكون من فناء مربع مع سكنات والمسكن يتكون من غرفه او غرفتين نوم[47].

أشار فرومينتان إلى المناخ الصحراوي الجاف وارتفاع درجه الحرارة التي كانت تتراوح بين 40-42 تحدث عن الرمال وجمالها عن الجمال وحتى العصافير والواحات والأفاعي ومخاوفه منها والخفافيش والتمور وأبدا إعجابه بالبيئة الصحراوية والأغواطيين.

6.أهمية كتابات فرومنتان في التعريف بالأغواط:

مع تطور الحركه الرومانسية في أوروبا وفرنسا خاصة، راح الفنانون الفرنسيون يعملون على استكشاف خبايا وأسرار الجزائر من خلال القيام برحلات إليها وكان من بينهم أوجين فرومنتان الذي كان له دور بارز في حركة الفن الإستشراقي مع منتصف القرن التاسع عشر، حيث تميّز بنظرته الجمالية التي جمعت بين الواقعية والرومانسية[48]، وظهر ذلك من خلال كتاباته حول الصحراء الجزائرية وخاصة مدينة الأغواط، حيث أظهر تأثير المناخ على سلوك الإنسان في الصحراء نقل لنا العديد من الصور والمظاهر الطبيعية والحياتية للجزائريين فكانت كتاباته بمثابة وثيقة تاريخيه وشهادات قيمّة كثيرة تكشف من خلالها

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

صورتين صورة واقعية تنقل الواقع المعاش للمنطقة وظروفها في ظل الإحتلال الفرنسي لكن من جهة أخرى قدّم صورة ذاتيه عبرّت عن نظرته لذلك الواقع وفق رؤيته الخاصة.

من خلال قراءة ما دوّنه فرومنتان حول الصحراء والأغواط تظهر الأهمية التاريخية لهذه الرحلة لما تحتويه من معلومات دقيقة تساهم في كتابه تاريخ المنطقة، حيث صوّر المجتمع الأغواطي وبيئته ووثّق ملاحظاته مضيفا عليها لوحات في غاية الدقة والجمال صوّرت نظرته وتصوّره للمنطقة من خلال رصد طابعها العمراني وطباع سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وتطرّق لمختلف فئات المجتمع المحلية منها والوافدة وحياتهم اليومية وبعض الطقوس التي يمارسونها، كما قدّم أيضا وصفا للبيئة الصحراوية التي تتميّز بها الأغواط من حيث المناخ، التضاريس، وحتى الحيوانات والمناطق التي يستقرون بها.

من جهة أخرى صوّر لنا واقع هذه المدينة بعد الهجوم الفرنسي عليها وكأنه يرسم لنا لوحة تبيّن لنا فيها حجم الدمار حيث يقول أن هذه المدينة أصبحت تستنشق الموت وتتغطى بثياب الحداد، منازل سوداء متصدّعة الجدران مثقوبة السقوف من جراء ضربات المدافع تنتشر بها الروائح الكريهة سبب كثره الجثث المنتشرة في كل مكان[49]. ورغم عرضه لصور الدمار والخراب الذي أصاب المدينة، إلا انه يقول أن هذه الأرض هي ملك لنا وإنهم دفعوا ثمنا غاليا لأجل ذلك.

رغم كل ما قدّمه فرومنتان من معلومات ورسومات وتصوّرات عن واقع الأغواط في الفترة التي عاشها فيها إلا أنه لم يتخلى عن نظرته الإحتقارية للمجتمع الجزائري بصفة عامة، فقد حاول في الكثير من الأحيان تهميشه وتصوير تصرفاته وسلوكياته انطلاقا من حكم مسبق. وكما يقول أبو القاسم سعد الله:" فان الجزائر عند فرومنتان مجرد موضوع جميل، ريفها وصحرائها وسمائها، ولذلك فهي موضوع للامتلاك والاستغلال هي عنده فريسة يجب قنصها، من الشرق يجب فرنستها"[50].

لقد ساهمت كتابات الرحالة أمثال فرومنتان في التعريف بالمناطق الداخلية من الجزائر وبالتالي توفير المعلومات الكافية للمستوطنين الآخرين، الذين بدأ عددهم يتزايد بعد إقرار النظام المدني في الجزائر وتشجيعهم على التوغل أكثر في المناطق الداخلية والاستقرار بها، وبالتالي فإن تدوين هذه الرحلات في تلك الفترة وفّر خدمة كبيره للمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر سواء بقصد أو بغير قصد[51].

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

الخاتمة :

مثلت كتب الرحلات أحد مصادر دراسة تاريخ الجزائر والتعرّف على واقعها، خاصة وأن الكثير منها قد دوّن في كتب تضمّنت مختلف الملاحظات عن الأمور التي لفتت انتباههم وحظيت باهتمامهم كما تضمّنت معلومات تفصيلية عن الحياة الإجتماعية والإقتصادية والنمط العمراني لمدنهم وثقافتهم، وأصبحت هذه الملاحظات مراجع للسلطات الاستعمارية تعرّفت من خلالها على حياة الجزائريين وطرق عيشهم، مما يمكّنها من التحكم فيهم أكثر ويسهّل لها عملية دمجهم في منظومتها الإستعمارية وكانت رحلات أوجين فرومنتان أنموذجا لهذه الرحلات والتي أظهرته بمظهرين، مظهر الأديب والفنان المعجب بالصحراء الجزائرية ومنبهرا بصورها، ومظهر المستشرق المتأثر بالفكر الإستعماري حاملا روح الإستعمار والإستعلاء والتمييز بين الغرب والعرب، حريصا على إظهار الفرنسي في صورة كاملة مثالية تؤهله لأن يبرز كأي إنسان قادر على تحمّل المسؤولية خبيرا بحياة الجزائريين يدير شؤونهم بحزم وصرامة دون أن يجرّده ذلك من مشاعره وعواطفه الخيرّة.

من خلال كتابات فرومانتان يظهر جليا الهدف من الصورة التي كان حريصا على إظهارها وإيصالها للفرنسيين وغيرهم من أن الأغواطيين لم يستطيعوا إنقاذ أنفسهم من السقوط إلا بفضل تدخل أجنبي، وكيف خضعوا للفرنسيين وأصبحت الأغواط مركزا حدوديا صلبا وسالما صالحا للسكن، وأنهم قادرين على الحفاظ عليه حتى من سخط المناخ كما قال، وبذلك يكون فرومنتان قد أوصل صورة عن البيئة والمجتمع الجزائري لا كما يجب بل كما كان يطمح فأعطى صورة غير حقيقية عن الجزائري.

كان كثيرا ما يتغنّى بفضائل العنصر الأوروبي داخل الجزائر فكأنه كان يخاطب من خلال ما كتبه الأوروبي والفرنسي تحديدا مظهرا مزايا وجمال الجزائر وبيئتها وسهوله السيطرة عليها في ظل عجز سكانها عن حمايتها، والذين وصفهم ظاهريا بمظهر الرضا عن سلوكياتهم لكن باطنيا كان التهكم والاستهزاء والازدراء منهم.

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

قائمة المصادر والمراجع:

1– المصادر باللغة الأجنبية:

1- Fromentin Eugene, Une Eté dans Le Sahara, Présentation et notes par Anne Marie Christine, Ed. Le Sycomore, Paris, 1981.
2- Eugène Fromentin, Une Année Dans Le Sahel, 2eme Edition, Paris : Michel Lévy, Frères Librairie, 1859.

2- المراجع باللغة العربية:

1- بيطار زينات ، الإستشراق في الفن الرومانسي، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

2-سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر وبداية الإحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

3- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، (1830-1954) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

3- المراجع باللغة الأجنبية:

1- Lallemand Charles, L’Algérie, Réseaux Exploités par La Compagnie de L’ouest-Algérien ligner de l’ouest –Algérien et de la Cie Franco- Algérienne, Paris : Challamel et Cie Editeurs, 1891.
2- Piesse Louis, Itinéraire de L’Algérie de La Tunisie et de Tanger, Paris : Librairie Hachette, Ed Cie ,1882.

4- الدوريات:

1- أنساعدسميرة ، "الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي أم تصوير تخييلي"، مجلة دراسات،المجلد01 العدد2، ديسمبر 2012، ص ص 19- 36.

2- بريغيث علي ،" صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان في كتابه سنة في السهل"، مجلة التراث، المجلد04، عدد04، ص ص 110- 118.

3- بكاري عبد القادر ب، "الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن19م"، مجله دراسات إنسانية وإجتماعية، المجلد 9، عدد 3، ص ص201- 212.

4- بن قبي عيسى ،" انطباعات حول مدينه المسيلة من خلال الرحالة الأوروبيين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد 06،العدد01، ص ص 117- 128.

5- بوباية عبد القادر ، "دور الرحالة و المستكشفين في حركه التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائريه"، مجله عصور، العدد4-5، ديسمبر2003 - جوان ص ص 152- 164.

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

6- بودخانة سليمة ، "المعالم التاريخية في المناطق الصحراوية ودورها في الجذب السياحي بالجزائر في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين"، مجلة الناصرية، مجلد10، عدد2، 2019، من ص269- 406.

7- رفاف شهرزاد،سياب خيرة، "صورة مجتمع أولاد نايل في القرن التاسع عشر ميلادي من خلال رحلة صيف في الصحراء للرحالة أوجين فرومنتان" ، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والإجتماعية ،عدد 67، 2022 ، ص ص 137- 154.

8- طاهري عبد المالك ، "الرحالة والمستكشفون الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة"، مجله عصور الجديدة، المجلد10، عدد 2020، ص ص 308- 326.

9- عبد العزيز زينب ، "أوجين فرومنتان بين الكلمة واللون"، مجلة الدوحة، العدد09، سبتمبر 1976، ص ص90- 97 .

10- عطاشي عيسى ، "صورة العرب في كتاب" صيف في الصحراء للرحالة الفرنسي أوجين فرومنتان"، مجله علوم اللسان، العدد07، 2017، ص ص49-64.

11- علالي محمد، "وصف المركز العسكري بالجلفة من خلال كتاب صيف في الصحراء للكاتب أوجين فرومنتان"، مجله أنسنة للبحوث والدراسات، العدد10، 2014، ص ص15 - 24.

12- مقنوش كريم ،" الشرق في نظر الغرب إهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر أنموذجا"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد12، عدد02، ص ص 435-451.

الهوامش:

[1] - سميرة أنساعد، "الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي أم تصوير تخييلي"، مجلة دراسات،المجلد01 العدد2، ديسمبر 2012،ص21.

[2] - عبد القادر بوباية، "دور الرحالة و المستكشفين في حركه التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائريه"، مجله عصور، العدد4-5، ديسمبر2003 - جوان ص154.

[3] - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر وبداية الإحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،ص35.

[4] - عبد المالك طاهري، "الرحالة والمستكشفون الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة"، مجله عصور الجديدة، المجلد10، عدد 2020، ص308.

[5] - عبد المالك طاهري، المرجع نفسه، ص309.

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

[6] - عبد القادر بكاري، "الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن19م"، مجله دراسات إنسانية وإجتماعية، المجلد 9، عدد 3، ص202.

[7] - سليمة بودخانة، "المعالم التاريخية في المناطق الصحراوية ودورها في الجذب السياحي بالجزائر في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين"، مجلة الناصرية، مجلد10، عدد2، 2019، من ص393.

[8] -Charles Lallemand, L'Algérie, Réseaux Exploités par La Compagnie de L'ouest-Algérien ligner de l'ouest –Algérien et de la C^{ie} Franco- Algérienne, Paris : Challamel et C^{ie} Editeurs, p 201.

[9]- Charles Lallemand, Op.cit., pp 205 – 206.

[10] - Eugene Fromentin, Une Eté dans Le Sahara, Présentation et notes par Anne Marie Christine, Ed. Le Sycomore, Paris, 1981, p 259.

[11]- Ibid, p 259.

[12] -Ibid, p290.

[13] - علالي محمد، "وصف المركز العسكري بالجلفة من خلال كتاب صيف في الصحراء للكاتب أوجين فرومنتان"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد10، 2014، ص17.

[14] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، (1830-1954) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 ،ص381.

[15] - رفاف شهرزاد،سياب خيرة، "صورة مجتمع أولاد نايل في القرن التاسع عشر ميلادي من خلال رحلة صيف في الصحراء للرحالة أوجين فرومنتان" ، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والإجتماعية ،عدد 67، 2022 ،ص14.

[16]- زينات بيطار، الإستشراق في الفن الروماني، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص303.

[17]- زينب عبد العزيز، "أوجين فرومنتان بين الكلمة واللون"، مجلة الدوحة، العدد09، سبتمبر 1976، ص91.

[18]- زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص92.

[19]- زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص92.

[20]- زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص92.

[21]- زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص93.

[22]- زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص ص93 – 94.

- Eugene Fromentin, Op.cit, p V.[23]

[24] - عيسى عطاشي، "صورة العرب في كتاب" صيف في الصحراء للرحالة الفرنسي أوجين فرومنتان"، مجله علوم اللسان، العدد07، 2017، ص49.

https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4744

[25] - عيسى عطاشي، المرجع نفسه، ص58.

[26] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، 381.

[27] - سليمه بودخانه، المرجع السابق، ص401.

[28] - Eugene Fromentin, Une Eté dans Le Sahara, Op.cit, p116.

[29] - علي بريغيث،" صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان في كتابه سنة في السهل"، مجلة التراث، المجلد04، عدد04، ص95.

[30] - Eugène Fromentin, Une Année Dans Le Sahel, 2eme Edition, Paris : Michel Lévy, Frères Librairie,1859,p 42.

[31] -Piesse Louis, Itinéraire de L'Algérie de La Tunisie et de Tanger, Paris : Librairie Hachette, Ed Cie
1882,p 119.

[32]- Eugene Fromentin, Une Eté dans Le Sahara, Op.cit, p150.

[33] - Ibid., p 156.

[34] - Ibid., p p150- 155.

[35] - Ibid., p117.

[36] - Ibid., p116.

[37] - Ibid., p131.

[38] - Ibid., pp 134- 135.

[39] - Ibid., p135.

[40] - Ibid., p135.

[41] - Ibid., p138.

[42] - Ibid., p139.

[43]- Eugene Fromentin, Une Eté dans Le Sahara, Op.cit, p 140.

[44] -Ibid., p141.

[45] --Ibid., p146.

[46] --Ibid., p146.

[47] --Ibid., p157.

[48] - كريم مقنوش،" الشرق في نظر الغرب إهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر أنموذجا"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد12، عدد02، ص ص 239- 240.

[49] - Eugene Fromentin, Une Eté dans Le Sahara, Op.cit, pp150- 155.

[50] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص381.

[51]- عيسى بن قبي،" انطباعات حول مدينه المسيلة من خلال الرحالة الأوروبيين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد 06،العدد01، ص125.